

طواف في البصرة



زياد مسعود

طفنا قبل أيام ببغداد ودرنا في أسواقها وأبوابها وكرادتيها ونظوف اليوم بالبصرة، والبصرة تاج العراق ودرته وبيت فخره وروايته المشرعة نحو الخليج العربي حيث كانت رحلة البحر بين أي جزء من الخليج والبصرة نوقا إلى أرض معطاء وتجارة أو رحلة علم وأنس ومعرفة.

والبصرة بقعة جغرافية كانت تعرف قديماً بأرض الهند قبل أن تتخذها البصرة كمدينة الإسلامية مسكراً وقد بنيت البصرة كمدينة سنة ١٤هـ كأول مدينة عمرت في الإسلام في عهد الولاى عتية بن غزوان وتأتي تسميتها (أرض الهند) لأن خليجها يطل بعد ذلك على المحيط الهندي عبر بحر العرب ولما وصلها من أقوام وسكنتها من قبائل وتجار. ونحن نقف اليوم عند أبرز الظواهر الفولكلورية في البصرة وأقضيتها وأريافها ومنها (ظاهرة التسمية) واختيار اسم العلم كمدخل لصور فولكلورية أخرى.

والإنسان لا يسمى ولده أو ابنته إلا لسبب أو لدافع فمن الأسماء البصرية التي تستند إلى الدافع الديني أسماء (عبد الله، خير الله، عبد المالك، عبد الجبار، عبد الباري، عبد المجيد، وعبد الحميد) وغيرها ومنها ما يضاف إلى أسماء الأئمة والصالحين مثل عبد الصاحب، عبد الزهرة، عبد الإمام، عبد الحسن، وهكذا ومنها أسماء أعلام حديثة بناها التطور وحب التجديد مثل (سهام، جنان، حنان، تغريد، دريد، أريج، عبير).

ومن أسماء التصغير وهي قديمة التسمية قولهم عليوي، افطيم، أكريم، كريجي، عتيس (مصغر عيسى)، وقولهم أخضير واحد ومن الأسماء البصرية القديمة عبودي، ورحومي وجسومي وجودي وهي أسماء تحبيب، ومن الأسماء التي جاءت على اسم الفاعل كاظم، هاشم، قاسم، محسن، مؤمن وهكذا.

ومن الأسماء البصرية التي جاءت على صيغة فعال أسماء كرار، جسام، سمار، ومن أسماء التفاؤل نعمة، عطية، خيرية، عملاية، غنية، وعفيفة، وهناك أسماء جاءت مضافاً إليها الف ونون مثل حمدان، عيدان، سلطان، سيهان، علوان، سدخان، مشعان، وغضبان، وقد وجدت في أعلام النساء ما جاء على شكل جملة مثل تسواهن، غلاهن، حيهن، وقد وجدت في قرى البصرة والقرنة أسماء نساء مثل ملوني، غدا الشـر، حظهن، وهي أسماء غريبة وشجيرة التداول.

ومن أسماء الأعلام الأجنبية تسمية بعض البصريين قديماً لأولادهم وبناتهم أسماء مثل ميجر، وهي رتبة عسكرية إنكليزية ودكسن وهو اسم حاكم إنكليزي واسم نوع من العلك واسم كوكب نسبة إلى المنسوب السامي البريطاني كوكس وسمى أحدهم ابنته كوبا وآخر سمى ولده هنتر فيما سمي اسمهم ولده ايدن نسبة إلى انطوني ايدن رئيس وزراء بريطانيا في الخمسينيات وسمى بعضهم أسماء أولادهم باسماء الأنبياء عليهم

السلام وهي محمد وصالح وشعب ويحيى وإبراهيم وأسمايل وإسحاق والياس وأدريس وموسى وعيسى وهارون داود وسليمان وزكريا وإيوب ويوسف ويونس.

ومن الأسماء البصرية ما يتصل بالنبات مثل عرنوص، جولان، خويصة، تالة، عاكولة، خيارة، هيلة، وزهرة، ومنهم من تسمى بأسماء الشهور والأيام والكواكب، والمواسم والأعياد مثل: رجب شعبان، عاشور، صفر. ربع كمر، شتوي، وجويريد. فلنك، بدر، ظهريه، خمسي، سبتي، جمعة، نجم، سهيل، نيمان، وكواكب، وهناك من تسمى بأسماء المواقع والظواهر الجغرافية، ومن تسمى بأسماء الآلات والأسلحة ومن تسمى حسب مناسبة أو باسم قائد أو فنان أو مطربة ومن الأسماء الأخيرة تسمياتهم: (شادية، صباح، أم كلثوم، فائق) وغيرها.

مجالس الطرب

وتعود أسماء الأعلام البصرية إلى مجالس الطرب والإبداع فيها فقد تأثرت موسيقى البصرة وأثرت بحكم موقعها الجغرافي بالشكبة الخليجية واشتهرت البصرة منذ القدم بمغنيها ومجالس طربها وفي مجال الأبوذية ظهر في البصرة الكثير من الأبطال مثل الشموه والغيبي واليهودي والسنان والأحاي وقد اهتم أكثرها بعضي الزمن ورياح التطور تنتقل الأغنية البصرية إلى

مرحلة الألمان المعتمدة على الخشابة والحنان المربعات والمقامات إضافة إلى الزميريات المودة على اساس مقامى إضافة إلى التوتري.

وفي يوم من الأيام غنت صديقة الملاية أغنية (الأفندي عيوني الأفندي، الله يخلي صبري، صندوق أمين البصرة) فمن هو صبري أفندي، ومن غنت هذه الأغنية قبل الملاية: يقول الباحثون إن الحاج (صبري محمد آل ملا سلمان) المتوفى عام ١٩٦٣ هو صندوق أمين البصرة التي غنت له المطربة البصرية حسنية عام ١٩٦٦ بعدما دفع عن ولدها البذل النقدي لكي لا يساق إلى الخدمة العسكرية في زمن العثمانيين ويقال أيضا إن صبري أفندي قد دفع البذل عن ابن المطربة الحلبية حياة الذي أزد الدوروي والى البصرة العثمانية الانتقام منها بدفع ولدها إلى الجيش لولا مساعدة صبري أفندي له فغنت له هذه الأغنية التي

اشتهرت واشتهر بها (صبري أفندي الملا سلمان) الذي تقاعد عن الوظيفة عام ١٩١٨ ١٩٢٢ ممتقنيا بإيراد اراضيه وكان رجلاً وسيماً جميلاً اشتهر بعفته وحب الحسنات له ولذكراه.

نخل البصرة

كان النخل وما زال مصدر فخر أهل البصرة برغم جنائية الحروب المتصلة على النخيل البصري وذبج شجيراته وقتل جذوعه والنخلة

وخصوصاً الصبور بالتمر قبل وضعها في النار ويسلق الخلال قبل أن يكون رطباً ويسمى خللاً مطبوخاً أو يدفن بالتراب تحت أشعة الشمس المحرقة ويسمى رطباً مشمساً أو يخزن الرطب تحت حرارة معينة ويسمى دكاكا.

والنخلة شجرة مدللة تحتاج إلى كثير من الخدمات طوال فصول السنة فهي لا تكتفي بتسميد التربة والسقي ولكنها تلف في بدء حياتها حماية لها من حرارة الجو وقبل موسم الطلع وفي الشتاء تتم عملية قص السعف اليابس وإزالة اللبب وتنظيف الجذع وكري النهر لتحسين عملية الري ولا بد أن تلتحج بحبوب اللقاح ولا تحول تمرها إلى شيبص ولا يد من التريكين وهي عملية سحب العذوق وتنظيم وضعها على السعف عند ظهور البلح الأخضر فإذا تلون البلح وترطب تبدأ عملية الدلاوة أي إزالة الشعفة من تحت العذق ولا بد من رش التمر بالمبيدات خوفاً من مرضه ولا بد من العناية بالنخلة عند إجراء عملية الكصاص حيث تجمع التمر على حصران نظيفة ثم في أماكن خاصة تسمى الجواخين أو المرابد.

وكان البصريون في النصف الأول من القرن العشرين يستقبلون عدداً من أبناء الخليج والهند القادمين عن طريق البحر ليستغلوا مع أبناء المحافظات المجاورة للبصرة في جمع التمر حيث تسمى النساء الطواشات ويقوم الملاك بإطعام عماله وعاملاته طوال مواسم القطاف ويكون محصول أول نخلة لهؤلاء ويسمى تمرها المرطاب ومن أنواع تمر البصرة الحلوي والسايسر والخضراوي والبريم والبرحي والقطنار ومن أنواع التمر النادرة أم الدهن أصابع العروس الإبراهيمي السوداني والمكتوم ومن صناعات النخل الشعبية صناعة الزنايل والمهايف والحصران وسفرة الطعام والقصف ومن صناعات الجريد صناعة الأسرة والكراسي ومهود الأطفال وصال الخضر والضواكه وهكذا يظل التمر والنخل كريماً مع البصرة كما تظل البصرة كريمة حانية على نخيلها وتمرها الشهي.

الطنبورة

يشير الباحث العراقي الموسيقي صبحي أنور رشيد إلى أن الطنبورة البصرية هي التطوير الحقيقي للقيثارة السومرية القديمة ويقول أن الطنبورة هي الآلة التوترية الوحيدة التي يعزف عليها خلال القيام بأداء طقوس النوبان التي تجرى في الكناد والمكيد هو عبارة عن ساحة بيت شرقي ترتفع في إحدى زواياه سارية لرفع راية خضراء ومن يدخله ينبغي أن ينزع حدائه ويمتنع عن التدخين فيما تكون آلات النوبان الموسيقية في موضع يتجه إلى القبلة وعند إخراجها للعزف يتم ذبح دجاجة أو كسر بيضة وقراءة بعض الأدعية ويمكن أن تطلق بعض أنواعه مثل البريم وظهر ومكيد الماس في محلة الدوب ومكيد أم سثار في العشار ومكيد رمضان في أبي الخصب وترافق الطنبورة في عزف النوبان الآلات الإيقاعية الجلدية المختلفة التي يسمى بعضها بالنجور ويلفها العازف حول وسطه قبل قيامه بالحركة والرقص وهو يتكئ على عصاه أثناء العزف.

وتظل البصرة حافلة بالكثير من الصور المميزة اجتماعياً وفنياً وزراعياً كما تميزت بطبيعة أهلها وشجاعتهم وأدهم وفنونهم المتعددة.

خارج الصدا

الطقس الشعبي الاحتفالي باستشهاد الإمام الحسين (ع)

باسم عبد الحميد حمودي

ياخذ الطقس الشعبي الاحتفالي بذكرى استشهاد الإمام الحسين بن علي بن ابي طالب (عليهما السلام) كل عام شكله الجماهيري في العاشر من محرم الحرام حيث يجتمع الناس في كل مدينة لأداء مراسم القتال بين السبعين مقاتلاً هم كل جماعة سيد الشهداء وجيش يزيد بن معاوية أداء تشبيهاً، أي انه أداء تشخيصي، حيث يختار القوم ممثلي كل جانب وتدور الحوارات بين فريقَي الأداء بشكل مرسوم ومخطط للوصول إلى الغاية الكبرى وهي اظهار معنى استشهاد الامام عليه السلام وصحبة الكرام باعتباره غاية حق ودفاع عن مبادئ عليا لا اثر للدنيويات فيها في وقت يسعى فيه قادة جيش يزيد إلى التعامل مع اهل بيت النبوة الكريمة يمتنهي القسوة والظلم بحيث لم يوفروا حتى الاطفال حين قتلوا الطفل عبد الله الرضيع يسهم مسموم وهو يحاول شرب الماء من يد الامام الشهيد.

ان احتفالية الاستشهاد المعبرة عن الأمة التي يتكرر تجسيدها كل عام تدخل تفاصيلها النفوس المحبة لآل البيت وتستند حواراتها الدموع والاحزان في وقت تستظهر فيه معاني البطولة الشامخة في سبيل عدالة القضية التي استشهد من اجلها الامام الشهيد وصحبه الامامجاد مجسدين في بطولة الامام العباس وصحبه من أمثال الشهداء سعيد بن عبد الله الحنفي وحبيب بن مظاهر وجون وبرير بن خضير ومسلم بن عوسجة وابو ثمامة وغيرهم مضافة إلى زهير بن القين الذي كان اول الامر من مغمضي الامام، ولكل بطل حكاية تجسد وقصة تقدم امام الجمع المحتشد الذي اعد لخاصة الأداء التشبيهي قبل ايام ووقف واجف القلب يرى صورة لعرس القاسم بن الحسن (عليهما السلام)، ذلك العرس الذي لم يكتمل الا باستشهاده ويرى حيرة الحر الرياحي بداية وانخراطه الحاسم في سجل الشهداء بعد ان ايقن الحق.. وهكذا تتتالي الصور المحسدة وتظهر العقيلة زينب سيدة بيت النبوة يومذاك والذابة عن الحرم النبوي يوم فقد رجاله والحامية لزين العابدين الصبي الذي جسد استمرار السلالة الطاهرة بعد مقتل كرام الرجال.

ويأتي التشبيه ساعات (الوحشة) حيث تطفأ أضوية الدور في المدن الا من الضوء الاحمر المرادف للدم الطاهر المهودر من اجل الحق.

ان كل هذه التفاصيل الشعبية تعد نوعاً من الانتماء للحق والاصرار عليه والامل بزمن قادم يعلو فيه ويكون وقد جسد الاحتفال الشعبي باستشهاد الامام عليه السلام وصحبه صورة هذا الانتماء في زمن شديد القسوة والجور.. ويانتظار يوم الرحمن والحق يستمر هذا الاحتفال.

مكتبة

مجموعات القصائد

والملاحظ ان المؤلف لم يتبع وضع الجداول حسب تسلسلها الزمني، إذ وجدنا ان الجداول الثلاثة للعام ١٩٢٥، ثم ينتقل المؤلف الى عام ١٩٣٠ ثم عام ١٩٢٧ ثم شركة جقماقجي عام ١٩٥٧ ويعود مرة ثانية لعام ١٩٣٣ ليضع جدولاً لشركة جرامفون.

ان حصيلته جهد المؤلف هي تثبيت (٢٠٠) اسطوانة ضمت اكثر من (٥٠) مقاما للقبانجي توزعت على هذه الجداول. كما فات المؤلف لاسماء البنوية، ويهمننا ان يتوسع المؤلف في الاشارة الى ان القبانجي اول من شكل الفرقة الموسيقية الحديثة لعزف الاسباب التي دفعت القبانجي لهذا القرار الذي لم يصدر من فراغ من جهة ولم يكن الطريق خالياً من المعارضين والمحافظين والمتزمتين من جهة اخرى.

في صفحة (٥٣) وتحت عنوان (البرز) من ممتاز به مدرسة القبانجي) ثبت المؤلف خمس عشرة فقرة. لم تكن كلها موقفة في ان تكون من اسباب ظهور مدرسة جديدة للمقام اضافة الى ان بعض هذه الفقرات يشترك المؤلف مع ما ورد في "ص" مثل الفقرة "٧" في "ص"٥٤" تخص تشكيل الفرقة الموسيقية الحديثة، والفقرة (٩٨) في نفس الصفحة تتناول كتابة وتلحين القصائد.

ونجد ان مفهوم المدرسة في المقام في بعض معانيها اجتهاد القارئ في ايجاد صياغات جديدة دون الخروج على شكل المقام وهذا ما اشار اليه المؤلف في الفقرة الاخيرة، "صفحة ٣٥" وفي البعض من اسباب وجود طرق جديدة هو الخروج على القراءة القديمة بالتلحين والتهديب والاضافة وفي هذا اشار المؤلف ايضا في الفقرة (١٢ ، ١٥) وفي صفحة ٥٤ و ٥٥،

ملح فوهات الربيعي

والملاحظ ان المؤلف لم يتبع وضع الجداول حسب تسلسلها الزمني، إذ وجدنا ان الجداول الثلاثة للعام ١٩٢٥، ثم ينتقل المؤلف الى عام ١٩٣٠ ثم عام ١٩٢٧ ثم شركة جقماقجي عام ١٩٥٧ ويعود مرة ثانية لعام ١٩٣٣ ليضع جدولاً لشركة جرامفون.

ان حصيلته جهد المؤلف هي تثبيت (٢٠٠) اسطوانة ضمت اكثر من (٥٠) مقاما للقبانجي توزعت على هذه الجداول. كما فات المؤلف لاسماء البنوية، ويهمننا ان يتوسع المؤلف في الاشارة الى ان القبانجي اول من شكل الفرقة الموسيقية الحديثة لعزف الاسباب التي دفعت القبانجي لهذا القرار الذي لم يصدر من فراغ من جهة ولم يكن الطريق خالياً من المعارضين والمحافظين والمتزمتين من جهة اخرى.

في صفحة (٥٣) وتحت عنوان (البرز) من ممتاز به مدرسة القبانجي) ثبت المؤلف خمس عشرة فقرة. لم تكن كلها موقفة في ان تكون من اسباب ظهور مدرسة جديدة للمقام اضافة الى ان بعض هذه الفقرات يشترك المؤلف مع ما ورد في "ص" مثل الفقرة "٧" في "ص"٥٤" تخص تشكيل الفرقة الموسيقية الحديثة، والفقرة (٩٨) في نفس الصفحة تتناول كتابة وتلحين القصائد.

ونجد ان مفهوم المدرسة في المقام في بعض معانيها اجتهاد القارئ في ايجاد صياغات جديدة دون الخروج على شكل المقام وهذا ما اشار اليه المؤلف في الفقرة الاخيرة، "صفحة ٣٥" وفي البعض من اسباب وجود طرق جديدة هو الخروج على القراءة القديمة بالتلحين والتهديب والاضافة وفي هذا اشار المؤلف ايضا في الفقرة (١٢ ، ١٥) وفي صفحة ٥٤ و ٥٥،

يزين المؤلف سعدي السعدي كتابه بالعديد من الجداول التي ساعدت في تنظيم المادة لتوضيح اكبر قدر من المعلومات في اصغر مساحة. وقد وردت في الصفحتين (٧٨) و (٧٩) وتحت عنوان جدول باسماء المقامات وهذا لم يكن دقيقاً فقد كان قائمة باسماء المقامات.

الطريقة الملائية في التعليم وطقوسها

اكد علماء التربية والتعليم المعاصرون على اهمية التهيئة بنوعيتها: الخاصة والعامة قبل ولوج الطفل (التلميذ) المدرسة. وهكذا كان الحال عند (الملة) فنيا المسجد. ففي الايام الاولى يعلمهم:

(للملة) (الخلف) بمفردها خلفه أي مساعد، وفي بعض المناطق يطلق على المساعد لفضة (صانع) ويختاره (الملة) عادة من بين التلاميذ ويكون اكثرهم وافضلهم تعليماً.

(ومدة الدراسة خمس سنوات تعادل بشكل عام الابتدائية لمتمحن المعلم (الملة) الصبي لمعرفة مدى حفظه للقرآن الكريم ومدى قدرته على ضبط المحفوظات وبعض القواعد المهمة فيجتاز الامتحان باحتفال خاص يدعى (الختمة) (سناتي إلى تفصيلها لاحقاً)... وكانت هنالك ثلاثة تقديرات للدرجة: ممتاز ووسط

وضعيف: والممتاز: يعني ان الطالب يستظهر القرآن من اوله إلى آخره مع ضبط الشكل والاعراب والفهم وحسن الخط.

المتوسط: من كان يقرأ القرآن بغير ضبط مع ضبط الشكل والهجا.

الضعيف فهو الذي يقرأ بدون ضبط الحروف.(١)

في المرحلة الاولى يتعلم التلاميذ اسماء الحروف:

ا، ب، ج، د..... الف، ي،ساء (بيه)، جيم، دال، (وهذه الحروف والحركات نلاحظها في بعض اجزاء (عمه) القديمة).

ثم يعلمهم اسماء الحركات: الفتحة = زير. الكسرة = زير.

الضممة = بيش الحرف الساكن يلفظ مع الحرف الذي يسبقه. (تماشيا مع الوزن وكيفية تقطيع البيت الشعري).

بعدها ينتقل إلى الحروف مع حروف المد:

با، تا..... (مقطع) ثم مع الحركات:

ب: تقرأ: بَاء زير وهكذا مع بقية الحركات.

تطبيق: الحمد: الف لام = آل / حاء ميم زير = حم /: الحم / دال بيش = د: الحمد.

قال: قاف الف = قا / لام زير = ك: قال: كان زير = ك / تاء الف =

كتابا: كان زير = ك / تاء الف = تا: كتا / بيه زير بن

با: كتابا

وفي أثناء القراءة يستعمل التلميذ (التباعة) وهي عبارة عن قطعة من (الخصوص) للتأشير على الكلمات المقروءة.

اما واجب التلميذ فعليه ان يحفظ (سورة) كل شهر، إلى ان يحين موعد تخرجه وتقدر درجته.

الفحص:

وعندما يختم الطفل القرآن الكريم، يقام له حفل: (الختمة) (التخرج) حيث يطاف بالطفل في اسواق المدينة وازقتها وخاصة محل او بيت ابيه واقربائه يحصل (الملة) على بعض الهدايا، وتنثر الحلوى (الجلكيت) على راس الطفل بعدها تعمل (وليمة)

(للملة) والاطفال في بيت خاتم القرآن يصاحب هذا الطقس (الزفة): بان توضع امامهم قطعة قماش بيضاء (وصلة) كما في حفل (الختان) مصاحبة كما بشأودة:

يا ما فلان قومي افرشي الحريرا

وهلهلي هلهولة وكبري تكبيريا

هذا الغلام القدر قرأ وقد كتب يستاهل الخلعات منكم والفضة والذهب

ما تنجلي إلا تجينه الذهب بطاسه مجلية متبته

ما تنجلي الا تجينه الفضة بطاسه مجلية مفضضة..

واخيرا لا بد ان نذكر:

١- قد يكون مكان الدرس في بيت (الملة).

٢- ان الطفل (التلميذ) المسيء يعاقب بالضرب بالصلصا على (الأنية) وفي الحالات الشديدة يضرب على القدمين بعد ان تربط وتدعى بوقتها (الضلقة)..

٣- اما الاجرة فكانت اسبوعية تتراوح بين عشرة فلوس او ثلاث عنات او اربع عنات او (قران)

(٢٠) فلس حسب امكانية العائلة. (العانة = ٤ فلوس).

١- القياس والتقويم / مجموعة من الاساتذة / بغداد، ١٩٩٧

٢- مقابلات عديدة مع من تتلمذ على يد الملاي.

مقابلة خاصة مع الحاج (الملة) عليوي سعيد عوض / تولد ١٩١٠ الحلة.